افتتاحية العدد الخامس

غزة إلى أين؟

الدكتور
يونس الجمرة

افتتاحية العدد الخامس

د. يونس الجمرة

مؤسسة عين السلطان للدراسات والأبحاث

إربد / الأردن

غزة إلى أين؟

ربما يظن البعض أن الكتابة في موضوع غزة من باب الترف الفكري، أو من باب إظهار القدرة على الكتابة في موضوعات شائكة لم تتبلور حدودها –أي غزة- وما سيجري بعد وقف إطلاق النار في التاسع عشر من الشهر الجاري، وقد يسأل سائل أن القذائف التي صُبّت على هذا القطاع يقدّرها البعض بمائة ألف طن، كيف تحمّل هؤلاء السكان في مساحة جغرافية لا تزيد عن ٣٦٥ كم٢؟ وكيف صبروا على هذه المحرقة التي تناولت كل شيء من البشر إلى الحجر والشجر؟ لم يكن الصمود عنوانًا فقط بل فعلًا وعملًا لا يقدر عليه أي إنسان... هذا الفلسطيني الذي خاض تجربة تقدر بأكثر من مئة عام خضع لألوان متعددة من العذاب ومقاومة ذلك، إذ بدأت الصورة عند وعد بلفور عام ١٩١٧ وما زالت حتى يومنا هذا، فكان الصمود من قبل اللاجئين الذين أُخرجوا من ديارهم في حرب ١٩٤٨، وتشتت الناس في بلدان عديدة منها من حافظت على صمودهم ومنها من انتهكت حُرمات البشرية والإنسانية، ترى وطنك أو بيتك أو حقلك أو بيّارتك يقيم فيها من جاءوا على شكل أفواج بشرية هاربين من العنف الأوروبي ليقوموا بتجريب هذا العنف وممارسته على بسطاء من البشر لم يكن لهم دور فيما تعرضوا له في أوروبا، ورسم هؤلاء القادمون على أرض فلسطين شلالات من الدم والمذابح والقتل كان آخرها في غزة وها هي قد انتقلت إلى الضفة الغربية التي هي جزء من فلسطين التاريخية حتى عام ١٩٤٨، ليعاود هؤلاء الأغراب عن الوطن إلى السيطرة على كل فلسطين عام ١٩٦٧، وربما يقتلون ما بقي منهم داخل الوطن المحتل أو يهجروهم خارج حدود هذا الوطن.

ورغم الجحيم الذي تعرّض له المواطن الفلسطيني في غزة ولاجئوها بقي هؤلاء صامدون، حيث طاردهم الجيش الاسرائيلي بكل ما أوتي من جبروت محاولين إخراجهم بقوة السلاح من على أرضهم... لكنهم صمدوا، وكان صمودهم عنوانًا من عناوين التمسك بأرضهم وبيوتهم ومدارسهم التي أنشأتها الأونروا حين لجأوا لهذا القطاع من الوطن... تجربة مريرة لم يشعر بها سوى من كابدها... تعرّضوا للبرد شتاءً والحر صيفًا ولم يفكروا بالهجرة، فقد تجذرت في ذاكرتهم الجمعية تجربة النكبة عام ١٩٤٨ و النزوح عام ١٩٦٧ فلم يعد هناك بالإمكان أسوأ مما كان... صمودهم قهر العدو فعاثوا في الأرض فسادًا، وكشف عن وجهه القبيح وإجرامه، فتفوقت غزة على لينينغراد في الحصار الذي دام لعامين في الحرب العالمية الثانية من ١٩٤١ إلى ١٩٤٣ ويُطلق عليها الآن (بطرسبرغ)، بينما غزة حوصرت أكثر من سبعة عشر عامًا وقُتل فيها أكثر من خمسين ألف عدا المفقودين وجُرح أكثر من مائة ألف نسبة إلى عدد السكان مع لينينغراد، ولتناول موضوع غزة إلى أين؟ علينا قراءة الرؤى المختلفة التالية:

١- رؤية المجتمع الدولي من خلال التصور الأمريكي لمستقبل غزة:

يتناقض التصور الامريكي بين إدارتين مختلفتين، فإدارة الرئيس السابق بايدن كانت تغضّ الطرف عما تقوم به إسرائيل من قتل وتدمير للبنى التحتية للقطاع، كما زودت اسرائيل بالسلاح والمال وفتحت مخازن السلاح التي تملكها في قواعدها في المنطقة، لكن رؤية هذه الإدارة كانت ضد احتلال غزة وضد التهجير لسكان القطاع، وعدم السماح لإسرائيل باقتطاع أجزاء من أرض القطاع، وبعد تنصيب الإدارة الجديدة برئاسة ترامب، رأى هذا الرئيس أن إعادة بناء القطاع بعد وقف إطلاق النار في ١٩ / ١/ ٢٠٢٥ أن على الأردن ومصر استقبال أعداد من الغزيين، بحجة إعادة بناء القطاع، وهذا عنوان التهجير القسري لسكان غزة، وهنا يتضح أن مسألة حل الدولتين غير واردة في خطاب ترامب، مع أن الرئيس السابق بايدن كان يؤمن بحل الدولتين ولكن دون محاولة لتطبيق ذلك، وتركت حرية الموافقة على ذلك لاسرائيل التي ترفض حل

الدولتين، مع أن القرارات الدولية ومؤسسات الأمم المتحدة ترى أن أنسب حل هو إقامة دولتين واحدة فلسطينية والأخرى اسرائيلية... لكن مع وقف التنفيذ، وهنا نتذكر أن اسحق شامير حين حضر مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ صرّح أنه سيدع التفاوض مع الفلسطينيين يمر دون حصولهم على شيء، ورغم إعلان مبادئ أوسلو ٩٣ ما زالت التعقيدات في تزايد لمنع قيام دولة فلسطينية في الضفة والقطاع.

٢- التصور العربي الرسمي لقطاع غزة:

يرى العرب الرسميون أن غزة هي جزء من الأرض التي تم احتلالها عام ١٩٦٧. وبالتالي فإن قرار ٢٤٢ الذي صدر عن الأمم المتحدة وأقرّ بعودة الأرض ما قبل الخامس من حزيران ٧٦ إلى أصحابها العرب مقابل السلام، وبقيت المداولات قائمة إلى حين اتفاق جامعة الدول العربية على مشروع الأمير فهد حينذاك فهو يعتمد على قرار ٢٤٢ و ٣٣٨ بإقامة دولة فلسطينية على أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة، لكن ذلك لم يتم بسبب مرواغة اسرائيل ودعمها من قبل الجانب الغربي وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تعرّض قطاع غزة إلى أكثر من هجوم اسرائيلي كان آخرها بعد عملية طوفان الأقصى في ٧ أكتوبر عام ٢٠٢٣، كما ظهرت أصوات غربية بالمناداة بتهجير أهالي غزة خلال رئاسة ترامب الأولى لما سمي بصفقة القرن لحل القضية الفلسطينية لكن ذلك رُفض من الجانب العربي الذي تمسك بمبادرة الملك فهد للسلام والتي تم إقرارها في بيروت في القمة العربية عام ٢٠٠٢، وأن تكون القدس عاصمة لدولتين، الشرقية لفلسطين والغربية لإسرائيل، لكن ترامب في دورته الأولى اعتبر القدس كاملة عاصمة أبدية لإسرائيل.

٣- التصور الإقليمي لمستقبل غزة:

رغم أن الإقليم يرى أن قطاع غزة جزء لا يتجزأ من الدولة الفلسطينية وأخص بالذكر تركيا وإيران، ومع أن التاثير الإقليمي على مجريات الأحداث

بعضها سلبي وقليل من الإيجابية خاصة من الجانب التركي. وإذا أردنا أن نشير إلى الجانب السلبي فهو اعتبار بعض دول الإقليم أن قضية فلسطين هي بمثابة قضيتها دون أن يكون لذلك أثر بسبب عوامل عدة من أهمها الجغرافيا، فلسطين محاطة بجغرافيا عربية والتأثير المباشر لهذه الجغرافيا ينعكس على مجريات الأحداث في القضية الفلسطينية. ولهذا مستقبل غزة في التصور الإقليمي أنها جزء أصيل من جغرافية الدولة الفلسطينية مستقبلًا، وإن تم الاتفاق مع دولة اسرائيل على السلام مع المحيط العربي، نقول أن الوطن العربي بمساحته الجغرافية والديمغرافية لن يتأثر بالامتداد الزمني لبقاء الاحتلال الاسرائيلي قائمًا، فهنالك بداية ونهاية لكل ما في هذا الكون.

٤- التصور الفلسطيني لمستقبل غزة:

غزة جزء لا يتجزأ من الأرض الفلسطينية المحتلة، وهي من مكونات الددولة الفلسطينية إن حلّ السلام، فلا دولة فلسطينية بدون غزة ولا قيام دولة فلسطينية بعيدًا عن الضفة الغربية... إذن هي لها أهميتها في المساحة الجغرافية للدولة الفلسطينية، كما أن غزة موقعها الجغرافي مهم لفلسطين فسكانها أيضًا مهمون بالنسبة لشعب فلسطين، لا تصوّر لغزة بدون فلسطين الضفة، ولا تصوّر للضغة بدون فلسطين قطاع غزة.

إن أهمية الصمود الفلسطيني في قطاع غزة هو الذي أدّى إلى أهمية القطاع، وبرغم ما قدمه أبناء هذه الجغرافيا فإن له أهمية كبرى في تاطير صمودهم ضمن قواعد وقف إطلاق النار، كما أن هؤلاء الناس الذين تعرضوا للعنف الإسرائيلي بكل أشكاله بقوا صامدين يقفون في وجه التهجير، وفي وجه الاعتداء بما قدموه من تضحيات غير مسبوقة في المنطقة العربية، بقي أن نقول إن وحدة الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع يشكّل رافعة ذات أهمية قصوى، ولذلك على الفلسطينيين أن يتمسكوا بالوحدة لا أن ينطبق عليهم المثل القائل أُكِلتُ يوم أُكِلَ الثور الأبيض... رغم كل ما يحدث فأهمية الوحدة هي من أسباب

القوة والمقاومة، وغير ذلك يؤدي إلى ضياع وتشتت وضعف فالوحدة هي الأساس في الموقف والأساس في التحرير وقيام الدولة الفلسطينية، وإلّا كيف سيقتنع العالم بغير ذلك.